﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبٗا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ [المزّمّل: 17 - 19]

مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تحذيرُ المكذِّبينَ مِنَ الاقتداءِ بفرعونَ

أمّا مناسبةُ الآيةِ الأولى لِما قبلَها؛ ففيها وجهانِ متقاربانِ:

أحدُهما: أنَّهُ لمّا عُلِمَ ممّا سبقَ أنَّهُ تعالى شديدُ الأخذِ؛ ناسَبَ ذلك أنْ حذَّرَ المكذِّبينَ مِنَ الاقتداءِ بفرعونَ[1]. والآخرُ: أنَّهُ انتُقِلَ بهم مِنَ التَّهديدِ بالأخذِ في الدُّنيا إلى الوعيدِ بعقابٍ أشدَّ، وهو عقابُ يومِ القيامةِ[2]، فالآيةُ ترقٍّ في تقريرِ عذابِ المُكذِّبينَ.

أمّا مناسبةُ الآيةِ الثّانيةِ للأولى؛ فهي أنَّهُ لمّا كانَ جعْلُ الولدانِ شيبًا أمرًا عظيمًا؛ صوَّرَ سبحانَهُ بعضَ أهوالِ ذلك اليومِ؛ زيادةً في عِظَمِهِ، فقالَ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ﴾ الآية[3]، فهذه الآيةُ الثّانيةُ مِن تمامِ ما قبلها، وأمّا مناسبةُ الآيةِ الثّالثةِ للثّانيةِ؛ ففيها وجهانِ متقاربانِ:

أحدُهما: أنَّهُ تعالى بدأ في أوَّلِ السّورةِ بشرحِ أحوالِ السُّعَداءِ، ثمَّ بدأ بتهديدِ الأشقياءِ على سبيلِ الإجمالِ، ثمَّ ذكرَ بعدَهُ أنواعَ عذابِ الآخرةِ، ثمَّ ذكرَ بعدَهُ عذابَ الدُّنيا، وهو الأخذُ الوبيلُ في الدُّنيا، ثمَّ وصفَ بعدَهُ شدَّةَ يومِ القيامةِ، فعندَ هذا تمَّ البيانُ بالكلّيَّةِ، فختمَ ذلكَ الكلامَ بقولِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ الآية[4].

والآخرُ: أنَّه لمّا كانَ ما مضَى مِنْ هذهِ السّورةِ مِنَ الأحكامِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 25.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 274.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 27.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 693.

والتَّرغيبِ والتَّرهيبِ مرشدًا إلى معالي الأخلاقِ، مُنقِذًا مِنْ كلِّ سوءٍ؛ قيلَ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ الآية[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡوِلۡدَٰنَ﴾: (ولد) أصلٌ يدلُّ على النَّسلِ[2]، والوالِدانِ الأبُ والأُمُّ لِلتَّغْليبِ، والوَليدُ الصَّبيُّ المَولودُ، والجَمْعُ وِلْدانٌ بِالكَسْرِ، والصَّبيَّةُ والأَمَةُ وليدَةٌ، والجَمْعُ ولائِدُ، والوَلَدُ بِفَتحَتَيْنِ: كُلُّ ما ولَدَهُ شَيْءٌ، وجَمْعُهُ أَوْلادٌ[3]، والوَلَدُ: المولودُ، يقالُ للواحدِ والجمعِ، والصَّغيرِ والكبيرِ، والوليدُ يقالُ لِمَنْ قَرُبَ عهدُهُ بالولادةِ[4]، والمرادُ بالولدانِ هنا: صغارُ الأطفالِ[5].

2) ﴿شِيبٗا﴾: (شيب) أصلٌ يدلُّ على اختلاطِ الشَّيءِ بالشَّيءِ[6]، والشَّيْبُ والمَشيبُ: بياضُ الشَّعرِ[7]، والشَّيْبُ يكونُ مِنَ الكِبَرِ غالبًا، وقد يكونُ مِنْ مصائبِ الدُّنيا معَ حداثةِ السِّنِّ[8]، وشابَ يَشيبُ شَيْبًا وشَيْبَةً، فالرَّجُلُ أَشْيَبُ عَلَى غَيْرِ قياسٍ، والجَمْعُ شيبٌ بِالكَسْرِ وشَيْبانُ مُشْتَقٌّ، ولا يُقالُ: امرَأَةٌ شَيباءُ، وإنْ قيلَ: شابَ رَأْسُها، والمَشيبُ الدُّخولُ في حَدِّ الشَّيْبِ، وقَد يُستَعْمَلُ المَشيبُ بِمَعْنَى الشَّيْبِ، وهوَ ابيضاضُ الشَّعْرِ المُسْوَدِّ[9]، والشّيبُ هنا: جمعُ أشيبَ[10].

3) ﴿مُنفَطِرُۢ﴾: (فطر) أصلٌ يدلُّ على فتحِ شيءٍ وإبرازِهِ[11]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: فطرَ اللّهُ الخلقَ، أي: خلقهم، وابتدأ صنعةَ الأشياءِ، وانفطرَ الثَّوبُ، وتفطَّرَ: انشقَّ[12]، وفَطَرَ اللّه الخَلْقَ فَطْرًا مِن بابِ (قَتَلَ) خَلَقَهُم، والاسْمُ الفِطْرَةُ بِالكَسْرِ[13]، والمرادُ بانفطارِ السَّماءِ هنا: انشقاقُها، أو كونُها مُثقَلةً إثقالًا يُؤدّي إلى انفطارِها[14].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 28.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ولد).
(3) الفيومي، المصباح المنير: (ولد).
(4) الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات: (ولد).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 389.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شيب).
(7) الأصفهاني، المفردات: (شيب).
(8) السمين، عمدة الحفاظ: (شيب)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 65.
(9) الفيومي، المصباح المنير: (سيب).
(10) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 558، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/ 310.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فطر).
(12) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (فطر).
(13) الفيومي، المصباح المنير: (فطر).
(14) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 693.

4) ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: (ذكر) أصلٌ يدلُّ على ضِدِّ النِّسيانِ، ويقالُ الذِّكْرُ تارةً، ويُرادُ بهِ هيئةٌ للنَّفْسِ بها يُمكِنُ للإنسانِ أن يَحْفظَ ما يكتسبُهُ مِنَ المعرفةِ، ويقالُ تارةً لحُضورِ الشَّيءِ القلبَ أوِ القولَ؛ ولذلكَ قيلَ: الذِّكْرُ ذِكْرانِ: ذِكْرٌ بالقلبِ، وذِكْرٌ باللِّسانِ، وكلُّ واحدٍ منهما ضربانِ: ذِكْرٌ عن نسيانٍ، وذِكْرٌ لا عن نسيانٍ بل عن إدامةِ الحفظِ[1]، والمرادُ بالتَّذكرةِ هنا: العِظَةُ[2] مجازًا مرسلًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى ذكرُهُ: فكيفَ تخافونَ أيُّها النّاسُ، أو أيُّها المشركونَ يومًا يجعلُ الأطفالَ الصِّغارَ شيبًا؛ إنْ كفرتم باللّهِ، ولم تُصدِّقوا بهِ؟ وهذا اليومُ هو يومُ القيامةِ، ومِنْ أوصافِهِ أنَّ السَّماءَ منشقَّةٌ أو مثقَلةٌ بذلكَ اليومِ، كانَ وعدُ اللّهِ مفعولًا متحقِّقًا؛ لأنَّهُ لا يُخلَفُ وعدُهُ، فاحذروا ذلكَ اليومَ؛ فإنَّهُ كائنٌ لا محالةَ[3]، وإنَّ هذهِ السّورةَ أو هذهِ الآياتِ المتقدِّمةَ موعظةٌ لأولي الألبابِ، فمَنْ شاءَ؛ سلكَ إلى ربِّهِ سبيلَ الإيمانِ والطّاعةِ[4].

العاقلُ يَقي نفسَهُ عذابَ الآخرةِ بالإيمانِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاءِ ودلالتها في ﴿فَكَيْفَ﴾:

(الفاءُ) في قولِهِ تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾؛ لتفريعِ هذا الكلامِ على ما تضمَّنَهُ الكلامُ السّابقُ، مِنَ التَّهديدِ على تكذيبِ الرَّسولِ - ﷺ -، وما أُدمِجَ فيهِ مِنَ التَّسجيلِ بأنَّ الرَّسولَ ﷺ شاهدٌ عليهم، فليسَ بعدَ الشَّهادةِ إلّا المؤاخذةُ بما شَهِدَ بهِ، وقد انتُقِلَ بهم مِنَ التَّهديدِ بالأخذِ في الدُّنيا إلى الوعيدِ بعقابٍ أشدَّ، وهو عقابُ

التَّفريعُ داعٍ للمُقارنةِ بين الطَّرفينِ؛ لتزداد نفس الكافر رعبًا

(1) الأصفهاني، المفردات: (ذكر).
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 5/ 257.
(3) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 694 - 695.
(4) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 344.

الآخرةِ[1]، وأفادَ التَّفريعُ أنَّ المُفرَّعَ أشدُّ في بابِه مِن المُفرَّعِ عنه، وهذا إبلاغٌ في التَّهديد.

بلاغةُ الاستفهامِ في ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾:

الاستفهامُ في قولِه تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَنَ شِيبًا﴾ مُستعمَلٌ في التَّعجيزِ والتَّوبيخِ، وقد نشأ هذا الاستفهامُ عن اعتبارِهم أهلَ اتِّعاظٍ وخوفٍ مِنَ الوعيدِ؛ بما حلَّ بأمثالِهم؛ ممّا شأنُهُ أنْ يُثيرَ فيهم تفكيرًا مِنَ النَّجاةِ مِنَ الوقوعِ فيما هُدِّدوا بهِ، وأنَّهم إنْ كانوا أهلَ صبرٍ على تحمُّلِ عذابِ الدُّنيا؛ فماذا يصنعونَ في اتِّقاءِ عذابِ الآخرةِ، والمعنى: أقدمْتُم على تحمُّلِ عذابِ الدُّنيا؛ فكيفَ تتَّقونَ عذابَ الآخرةِ؟[2] والاستفهامُ محضُ معناه التَّنْبيهُ، فهو يحثُّهم على مراجعةِ أنفسهم قبل فواتِ الأوانِ، لا سيّما بعد تحريكِ أنفسِهم وإيقاظِهم بالحديثِ عن شيءٍ مِن عذابِ يومِ القيامةِ، وأهوالِه، وعقابِ أمَّةٍ سابقةٍ.

الاستفهامُ يوقِظُهم مِن غفلتِهم، ويُنادي عليهم أن أفيقوا

علَّةُ التَّعبيرِ بـ: ﴿إِن﴾:

لمّا كانَ التَّنفيرُ مِنْ سببِ التَّهديدِ أهمَّ؛ لأنَّهُ أدلُّ على رحمةِ المُحذِّرِ، وأبعثُ على اجتنابِه؛ قالَ تعالى: ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ مشيرًا بأداةِ الشَّكِّ ﴿إِن﴾ إلى أنَّ كفرَهم باللهِ - مع ما نُصِبَ لهم مِنَ الأدلَّةِ العقليَّةِ المؤيَّدةِ بالنَّقليَّةِ - ممّا لا ينبغي أنْ يوجَدَ بوجهٍ، وإنَّما يُذكَرُ على سبيلِ الفرضِ والتَّقديرِ[3]، كما تُفرَضُ المُحالاتُ.

الكفرُ باللهِ مع وضوحِ الدَّلائلِ لا ينبغي أنْ يكونَ

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿كَفَرْتُمْ﴾:

فعلُ الشَّرطِ مِن قولِه تعالى: ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ مُستعمَلٌ في معنى الدَّوامِ على الكفرِ؛ لأنَّ ما يقتضيهِ الشَّرطُ مِنَ الاستقبالِ قرينةٌ على إرادةِ معنى الدَّوامِ مِنَ الفعلِ في قولِه: ﴿كَفَرْتُمْ﴾، وإلّا فإنَّ كفرَهم

عقابُ الآخرةِ لمنِ استمرَّ على كفرِه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 274.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 274.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 26، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 121.

حاصلٌ مِنْ قبلِ نزولِ هذهِ الآيةِ[1]، وفي العبارةِ إشارةٌ إلى أنَّهُ تعالى عفا عنهم الكفرَ الماضيَ، فلا يَعُدُّهُ عليهم؛ رحمةً منهُ وكرمًا، ولا يَعُدُّ عليهم إلّا ما أوقعوهُ بعدَ مجيءِ الرَّسولِ ﷺ[2].

بلاغةُ حذفِ المتعلَّقِ بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾:

مَـن أيـقـنَ يـوم القيامة لم يكفر بالحقِّ في صورة اللَّفظ

حُذِفَ المتعلَّقُ بالكفرِ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾؛ لظهورِهِ؛ إذ المرادُ: كفرُهم بما يجبُ الإيمانُ بهِ، وفي الحذف إنكارٌ لطيفٌ عليهم أنْ يكفروا به، والمعنى أنَّ مِثْلَه لا يُكْفَرُ به، ولا يتسلَّطُ عليه الكفرُ في اللَّفظ؛ وذلك بمعونة سياقِ تقريرِ شدَّة أهوالِ يوم القيامةِ.

بلاغةُ تنكيرِ ﴿يَوْمًا﴾:

عـظـمـةُ شـأنِ اليومِ الآخِرِ

تنكيرُ قوله: ﴿يَوْمًا﴾، في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَنَ شِيبًا﴾؛ للتَّفخيمِ والتَّعظيمِ، أي: يومًا عظيمَ الشَّأنِ، ويدلُّ على ذلكَ الأوصافُ الَّتي أُجريَتْ عليهِ.

موقعُ قولِه: ﴿يَوْمًا﴾ ودلالتُهُ:

كـلُّ ما سيكونُ في ذلـك اليـوم عذاب للمُكذِّبين

الظّاهرُ أنَّ لفظ ﴿يَوْمًا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَنَ شِيبًا﴾ منصوبٌ بالفعل في قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ على سبيلِ المفعولِ بهِ تجوُّزًا[3]؛ إذ اتِّقاءُ اليومِ باتِّقاءِ ما يقعُ فيهِ مِنَ العذابِ على الكفرِ[4]، وتسليطُ الاتِّقاءِ على اليوم في اللَّفظِ إبلاغٌ في التَّهويلِ، كأنَّ كلَّ ما فيهِ مِن شأنِه ألّا يستطيعَ هؤلاءِ الوقايةَ منه؛ لكفرهم وشركهم، كأنَّ اليومَ نفْسَه وما فيه مِن ملابساتِ العذابِ عذابٌ.

بلاغة الإسنادِ في ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَنَ شِيبًا﴾:

الـيـومُ الَّـذي يجعل الولدان شيبًا يُتَّقَى

الظّاهرُ أنَّ الضَّمير الَّذي هو فاعل الجَعْل في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 274.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 26.
(3) السمين، الدر المصون: 10/ 526 - 527.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 275.

﴿ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ لليوم، والجملةُ صفتُهُ، والإسنادُ مجازٌ[1] عقليٌّ؛ أُسنِدَ الجعلُ إلى اليوم؛ لكونِهِ واقعًا فيهِ[2]، والفاعلُ حقيقةً هو اللَّهُ تعالى، وهذا إبلاغٌ في تهويلِ ذلك اليوم وتعظيمِه، وهذا يوهِمُ أنَّ تسليطَ الاتِّقاءِ عليه كأنَّه حقيقةٌ مِن غير تقديرِ العذابِ.

علَّة التَّعبيرِ بالجعلِ:

في يوم القيامة تكونُ العجائبُ

عُبِّرَ بالجعلِ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾؛ لدلالتِه على معنى التَّصييرِ، أي: يُصيِّرُ الولدانَ شيبًا[3]، فيُشيرُ هذا اللَّفظُ إلى نقلِهم مِنْ وصفٍ إلى وصفٍ مضادٍّ لهُ، وفي ذلكَ ما لا يخفَى مِنَ التَّهويلِ، وقد نظَمَ القرآنُ معنَى (الجَعْل) فعلًا مضارعًا في قولِهِ تعالى: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾؛ دالًّا على التَّجدُّدِ والحُدوثِ والتَّكرارِ؛ نظرًا إلى تعدُّدِ متعلَّقِ الجَعْلِ مِن الولدانِ الَّذي هو جَمْعُ كثرةٍ، وسبيلًا إلى إبرازِ تهويلِ اليوم بتصويرِ الجَعْلِ الَّذي سيكونُ كأنَّه كائنٌ الآنَ، يُشاهدُه المُتلقُّون.

دلالةُ التَّعريفِ في ﴿ٱلْوِلْدَٰنَ﴾:

كلُّ الولدانِ يشيبون من هول يوم القيامة

تعريفُ الولدانِ بـ(أل) في قولِهِ ﷻ: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾: للجنسِ الشَّاملِ لجميعِ أفرادِهِ[4]، فيَعْظُم معنَى الكثرةِ الَّذي في صيغةِ الكثرةِ: (وِلْدان)؛ وفي ذلكَ مزيدُ تفظيعٍ لشأنِ ذلكَ اليومِ.

دلالةُ الكنايةِ في جَعْلِ الوِلدان شيبًا:

ردعُ المُكذِّبين بصورةٍ تثيرُ الخوفَ المُبين

كنَّى النظمُ القرآنيُّ الكريم بجَعْلِ الولدانِ شيبًا في قولِهِ تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ عن شدَّةِ ذلك اليومِ وعَظيمِ هَوْلِه، ويحتملُ أن يكونَ ذلك حقيقةً بانقلابِ الشَّعرِ الأسودِ للولدانِ إلى شعرٍ أبيضَ معَ انحناءِ الظَّهرِ وغيرِها من العلاماتِ الدالَّة على تقدُّمِ السنِّ؛ إذ الكنايةُ استعمالُ اللَّفظِ في لازمِ المَعنى معَ جَوازِ إرادةِ المَعنى الأصليِّ.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 121.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 26، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/ 317.
(3) السمين، الدر المصون: 10/ 527.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 50، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 121.

سرُّ فصلِ ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّه صفةٌ ثانيةٌ لقوله تعالى: ﴿يَوۡمًا﴾، وغيابُ العاطفِ بينَ جملةِ الصِّفة وجملةِ الصِّفة الَّتي قبلها يشيرُ إلى اجتماع الصِّفتين؛ كأنَّهما صفةٌ واحدةٌ متجمّعة في ذلك اليوم، وأنَّ جعْلَ الولدانِ شيبًا يحصلُ في حالِ حُصول انفطارِ السّماء، وأنَّ حصولَ انفطارِها يحصلُ في وقتِ حصولِ جعْلِ الولدان شيبًا، وناهيك عن الرُّعْب والأهوالِ في يومٍ هذه صفتُهُ.

مِنْ صفاتِ يومِ القيامةِ انفطارُ السَّماءِ بهِ في وقتِ جَعْلِ الوِلْدانِ شيبًا

دلالة الاسميَّةِ في ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾:

نظَم القرآنُ المعنَى في قولِهِ ﷻ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ في صورة الجملة الاسميَّة؛ للدِّلالةِ على أنَّ انفطارَ السَّماءِ حقيقةٌ ثابتةٌ، فيتأكَّدُ حصولُ ذلك في النَّفْسِ، فيقوَى انفعالُها به، فتعملُ بموجِبه؛ إنْ هي أنْصَفَت نفْسَها والحقَّ.

انفطارُ السَّماءِ حقيقةٌ ثابتةٌ مُرْعِبَةٌ

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾:

تعريفُ السَّماءِ بـ(أل) في قولِهِ ﷻ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾: للجنسِ الشّاملِ للكلِّ[1]، فيفيدُ الكلامُ أنَّ حكمَ الانفطارِ شاملٌ للسَّماواتِ جميعًا، لكنَّهُم لم يُشاهدوا إلَّا سماءً واحدةً ظاهرةً لهُم؛ إلّا أنَّهم يُقِرُّون بخلْقِ هذه السَّماءِ، ومَن أقَرَّ بخَلْقِ سماء واحدة كان مُقِرًّا بخلْقِ باقي السَّماوات؛ فلذلك كانت (أل) هنا للجنس الشَّامل للكلِّ.

كلُّ السَّماواتِ منفطرةٌ يومَ القيامةِ

دلالة تذكيرِ ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾:

قولُه: ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ خبرُ قولِه: ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾، والخبر وصفٌ في المعنى لصاحبه، والتَّطابقُ هو الأصلُ بينهما، لكنَّ ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ مؤنَّثةٌ، وخبرُها: ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ مُذكَّرٌ، وداعي التَّذكيرِ إفهامُ أنَّ المرادَ الجنسُ الشَّاملُ للكلِّ، فلو أُنِّثَ؛ لكان ظاهرًا في واحدةٍ مِن السَّماوات، وفي

الهولُ مع التذكيرِ أعظمُ وأشدُّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 27.

اختيار التَّذكيرِ أيضًا: إفهامُ الشِّدَّة الزَّائدةِ في الهولِ المُؤدِّي إلى انفطار ما هوَ في غايةِ الشِّدَّةِ؛ لأنَّ الذَّكَر في كلِّ شيء أشدُّ مِن الأنثى، وذلك كلُّه تهويلٌ لليوم المذكورِ، فالهولُ مع التَّذكيرِ أعظمُ وأفخمُ وأشدُّ منه مع التّأنيث، وهذا ما يتناسَبُ مع سياق التَّرقِّي في وصفِ اليوم بحدوث الأهوال والأحداثِ فيه مِن الأدنى الكائنِ في آية السِّباق: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، إلى الأعلى الكائن في هذه الآية مِن انفطار السّماوات، فهي على علوِّها وعظَمِها وسُمكها تنفطر لذلك اليوم، فما الظَّنُّ بالخلائقِ الضَّعيفة كالإنسان[1]؟ ولا يبعُدُ أنْ يكون عدمُ المطابقة بينَ المبتدأ والخبر في التذكيرِ والتأنيث مبعثُهُ أنَّ ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ كنايةٌ عن العُلوِّ، فالعلوُّ الَّذي يبدو للنّاظرِ هو المُنفطرُ دونَ حقيقةِ السَّماء.

معنى الباءِ ودلالة التَّعْبير بها في ﴿بِهِۦ﴾:

هَوْلُ اليومِ سببُ انفطارِ السَّماءِ

(الباءُ) في قولِه تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾: للسَّببيَّة، أي: متشقِّقةٌ بسببِ هَوْلِه، أو: بشدَّة ذلك اليوم، ويجوز أنْ تكون الباءُ للآلة؛ مبالغةً في شدَّةِ اليوم، كأنَّهُ آلةٌ للشَّقِّ، ويجوزُ كونُها بمعنى: (فيه)، أي: يحصلُ فيه التَّفطُّرُ والتَّشقُّقُ بالغمامِ ونزولُ الملائكة، وغيرُ ذلك مِن التَّساقط والوهي على شِدَّة وثاقتها، فما ظنُّكَ بغيرِها[2]؟ والباءُ أصلُ معانيها الاختلاطُ أو الإلصاقُ أو الملابسة، عباراتٌ مختلفةٌ، والمآلُ واحدٌ، فتفيدُ الباءُ شدَّة أثَر ذلك اليوم في انفطارِها، فاستحضارُ أصلِ معانيها أبلغُ في إبرازِ قَصْدِ السِّياقِ مِن الحمل على السَّببيَّة وغيرِها.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/ 214، وطه السيسي، البلاغة القرآنية في تفسير البقاعي، التذكير والتأنيث أنموذجًا دراسة موازنة - معجم بلاغي: 1/ 587 - 588.

(2) السمين، الدر المصون: 10/ 528، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 50، والزمخشري، الكشاف: 4/ 642، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 257، والبقاعي، نظم الدرر: 8/ 214، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 393.

سرُّ تخصيصِ ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ بالذِّكرِ:

انفطارُ الأقوى تنبيهٌ على انفِطارِ الأضعَفِ

تخصيصُ ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ بالذِّكرِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾؛ للمبالغةِ في إبراز عِظَم أحداثِ ذلك اليوم وشِدَّتِها، بيانُ ذلكَ: أنَّ السَّماءَ على عِظَمِها وقوَّتِها تنفطرُ بهِ، فما ظنُّكَ بغيرِها مِنَ الخلائقِ[1]؟ وقد جَرَى القرآنُ على ذلك في بعضِ مواضِعِه، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: 90]، وقال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشّورى: 5]، وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: 1].

سرُّ فصلِ ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾:

هَوانُ الانفطارِ بالنِّسبةِ إلى عظمتِهِ سبحانَهُ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مستأنفٌ؛ لبيانِ هَوانِ الانفطارِ بالنِّسبةِ إلى عظمتِهِ ﷻ[2]، وإذا كان وعدُه مفعولًا؛ كانَ ما سبقَ تقريرُه واقعًا لا محالةَ، ففي الثَّاني نوعُ تحقيقٍ وتوكيدٍ للأوَّل، فغابَ العاطفُ؛ لما بينهما مِن كمال الاتِّصالِ، ويجوزُ أنْ يكونَ هذا الاستئنافُ تذييلًا مُقرِّرًا لِما قبلَهُ[3]، ويجوزُ أنْ يكونَ الفصلُ لكونِ الجملةِ صفةً أخرى لقولِه: ﴿يَوْمًا﴾، وهذا الوصفُ إدماجٌ للتَّصريحِ بتحقيقِ وقوعِ ذلكَ اليومِ بعدَ الإنذارِ بهِ الَّذي هو مُقتضٍ لوقوعِهِ بطريقِ الكنايةِ؛ استقصاءً في إبلاغِ ذلكَ إلى علمِهم، وفي قطعِ معذرتِهم[4]، وما سبقَ مِن وصفٍ متلبِّسٌ بوقوعِه، فغابَ العاطفُ بينَ هذا الوصفِ وما قبلَه لذلك.

نكتةُ الإضافةِ في ﴿وَعْدُهُۥ﴾:

إضافةُ المصدرِ للمفعولِ أو للفاعلِ

يَحْتملُ أنْ يكونَ الضَّميرُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَعْدُهُۥ﴾ عائدًا إلى المفعولِ، والمعنى: وعدُ ذلكَ اليومِ مفعولٌ، أي: الوعدُ المضافُ إلى

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 559.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 27.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 393.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 277.

ذلكَ اليومِ واجبُ الوقوعِ؛ لأنَّ حكمةَ اللهِ تعالى وعلمَهُ يقتضيانِ إيقاعَهُ، ويَحْتمِلُ أنْ يكونَ عائدًا إلى الفاعلِ، والمعنى: وعْدُ اللهِ واقعٌ لا محالةَ؛ لأنَّهُ تعالى مُنزَّهٌ عن الكذبِ، وإنْ لم يَجْرِ ذكرُ اللهِ تعالى، ولكنَّهُ حسَّنَ عودَ الضَّميرِ إليهِ كونُهُ معلومًا[1]، واحتمالُ الكلامِ الوجهيْنِ فيه نوعُ إطنابٍ وإبلاغٍ في تقريرِ معناه؛ توكيدًا في مواجهة تكذيبِهم الَّذي يزيدهم عمًى عن الحقِّ.

سرُّ فصلِ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾:

فُصِلَ قولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مستأنفٌ استئنافًا ابتدائيًّا[2]، وهو تذييلٌ لِما قبلَهُ، فمَنْ كانَ مِن مُنكري البعثِ؛ آمنَ بهِ، ومَنْ كانَ مؤمنًا؛ استفاقَ مِنَ الغفلةِ الَّتي تَعْرِضُ للمؤمنِ، فاستدركَ ما فاتَهُ؛ وبهذا العمومِ الشّاملِ لأحوالِ المتحدَّثِ عنهم وأحوالِ غيرِهم كانتِ الجملةُ تذييلًا[3].

التَّذكيرُ شاملٌ للمُتحدَّثِ عنهم وغيرِهم

غرضُ توكيدِ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾:

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾، واسميَّةِ الجملةِ؛ تنبيهًا على عِظَمِ التَّذكرةِ، وأنَّها ممّا ينبغي التَّنبيهُ عليهِ[4]، وأنَّ هذه الآياتِ المنطويةَ على الزَّواجرِ والقوارعِ والإرشاداتِ والهداياتِ المذكورةِ؛ مِمَّا ينبغي الالتفاتُ إليه، والإقبالُ عليه، ولأنَّ المواجَهينَ بهِ ابتداءً ينكرونَ كونَ القرآنِ تذكرةً وهدًى، فإنَّهم كذَّبوا بأنَّهُ مِن عندِ اللهِ، ووصفوهُ بالسِّحرِ وبالأساطيرِ، وذلكَ مِنْ أقوالِهم الَّتي أُرشِدَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى الصَّبرِ عليها[5].

مراعاةُ تكذيبِ الكفرةِ، ولفتُهُم إلى ما غفلوا عنه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 693.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 27.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 277.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 28.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 277.

معاني الهدى القرآنيَّة قريبةٌ مِن النُّفوسِ عِلْمًا وعمَلًا

علَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للقريبِ ﴿هَٰذِهِۦ﴾:

الإشارةُ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ للآياتِ السّابقةِ[1]، أو للسّورةِ[2]، والتَّعبيرُ باسمِ الإشارةِ للقريبِ (ذه)؛ للتَّنبيهِ على قُربِها، وأنَّها في مُتناوَلِ الأفهامِ والعملِ بموجِبِها.

تحذيرُ الغافلِ مِن سوءِ العواقبِ

علَّة التَّعبير بـ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾:

عُبِّرَ بالتَّذكرةِ في قولِه ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾؛ لأنَّها اسْمٌ لمصدرِ الذِّكْرِ بضمِّ الذّالِ، الَّذي هو خُطورُ الشَّيءِ في البالِ، فالتَّذكرةُ: الموعظةُ؛ لأنَّها تُذكِّرُ الغافلَ عن سوءِ العواقبِ[3]؛ على سبيلِ المجازِ المرسلِ الَّذي عَلاقَتُه السَّببيَّةُ، فمِن شأنِ هذه المعاني المَعْروضَةِ في السُّورة أنْ يكونَ العبدُ على ذُكْرٍ منها، لا سيّما أنَّها بُنيتْ على الإيجازِ في الخطابِ.

الآياتُ السّابقةُ أو السّورةُ موعظةٌ عظيمةٌ

نكتةُ تنكيرِ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾:

تنكيرُ لفظ: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾؛ للتَّعظيمِ، أي: تذكيرٌ عظيمٌ هو أهلٌ لأنْ يتَّعظَ به المُتَّعِظُ، ويَعْتَبِرَ به المُعْتبِرُ[4]، وهذا إبلاغٌ في تحريكِ نفوسِ المُتلقِّينَ للسُّورة نحوَ معانيها؛ للانتفاعِ بها.

لا معذرةَ للمتغافلِ بحالٍ

معنى الفاءِ ودلالتها في ﴿فَمَن﴾:

(الفاءُ) في قولِه ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ للتَّفريعِ، فقد فُرِّعَ على التَّحريضِ التَّعريضيِّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾؛ إذ فيه تنبيهٌ على أنَّ مِثْلَ هذه الآيات تحريضٌ آخَرُ صريحٌ، والمعنى: مَنْ كانَ يريدُ أنْ يتَّخذَ إلى ربِّهِ سبيلًا؛ فقد تهيَّأ لهُ اتِّخاذُ السَّبيلِ بهذهِ التَّذكرةِ، فلم تبقَ للمتغافلِ معذرةٌ[5]، فالفاءُ أفادت قوَّةَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 693.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 51.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 277.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 28.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 28.

سببيَّةِ ما قبلها في حصولِ ما بعدَها، وهذا مُؤسَّسٌ على نفس مادَّةِ التَّذْكرةِ وتنكيرِها.

علَّة التَّعبير بالموصوليَّة في ﴿فَمَن شَآءَ﴾:

فـي الموصوليَّة إلهاب وتهييج وتحريك نحو سبيل الخير

الإتيانُ بالموصولِ في قولِه تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ مِنْ قبيلِ التَّحريضِ؛ لأنَّهُ يقتضي أنَّ هذا السَّبيلَ موصِلٌ إلى الخيرِ، فلا حائلَ يَحولُ بينَ طالبِ الخيرِ وبينَ سلوكِ هذا السَّبيلِ إلّا مشيئتُهُ؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ قرينةٌ على ذلكَ، فليسَ ذلكَ إباحةً للإيمانِ والكفرِ، ولكنَّهُ تحريضٌ على الإيمانِ، وما بعدَهُ تحذيرٌ مِنَ الكفرِ[1]، وكونُ الموصولِ كذلكَ مُؤسَّسٌ على أنَّ الصِّلةَ عنوانُ الموصولِ، به يُعْرَف ويُشْهَر، فالمُخاطَبُ له مشيئةٌ يُعتدُّ به، فينشأ من ذلك التَّحريضُ المذكورُ، ويحتملُ أنْ يكونَ (مَن) اسمَ شرطٍ[2]، فيفيدُ أنَّ اتِّخاذَ السَّبيلِ إلى اللهِ يحتاجُ مشيئةً وإرادةً مِنَ المتَّخِذِ.

سرُّ الحذف في ﴿فَمَن شَآءَ﴾:

غـايـةُ نَـفـاسـةِ مَعنى المفعول، وضـــــرورةُ مَشيئةِ التَّذكرة والمَوعِظة

في قولِهِ ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ إيجازٌ بحذفِ مفعولِ المشيئةِ؛ لدلالةِ السِّياقِ عليهِ، أي: فمَن شاءَ أنْ يتَّخذَ سبيلًا إلى ربِّهِ اتَّخذَهُ[3]، والحذفُ سبيلٌ إلى تزيينِ معنَى المفعولِ في بصَرِ المُتلقِّي وبصيرتِه؛ لأنَّ قولَه: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ يوقِع في نفسِه أنَّ ههنا شيئًا تقتضي مشيئتُه أنْ يكونَ، أو ألّا يكونَ، فيتطلَّع إلى معرفتِه، والبيانِ عنه، فإذا تلقَّى قولَه: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ عرَف ذلكَ الشَّيءَ، فتمكَّن في نفْسِه، ورسَخ، فإنَّ في البيانِ إذا ورَد بعدَ الإبهامِ، وبعدَ التَّحْريكِ لهُ أبدًا، لُطْفًا ونُبْلًا لا يكونُ؛ إذا لم يتقدَّم ما يُحرِّكُ، وبالجملة في الحذفِ تنبيهٌ على نفاسة مشيئته؛ لتعلُّقها بالمفعول

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 278.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 319.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 319.

المحذوف، ويجوز أنْ يكونَ المفعولُ المحذوفُ: (التَّذكُّرَ والموعظةَ)[1]، وسِرُّ الحذفِ الإشعارُ بأنَّ مشيئتَها ينبغي أنْ يكونَ نتيجةً حتميَّةً ضروريَّةً لتلقِّي معاني آياتِ السُّورةِ.

دلالةُ صيغةِ الافتعالِ ﴿ٱتَّخَذَ﴾:

إحسانُ اللهِ إلى العبدِ - ومنه التَّذْكرةُ - الأَلْصقُ به الاتِّخاذُ

جيءَ بصيغةِ الافتعالِ في قولِه تعالى شأنُهُ: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ متَّخِذَ السَّبيلِ إلى اللهِ يبذلُ في ذلكَ غايةَ جهدِه[2]، وذلك يعني أنَّ المُفرَّعَ عنه ما بعدَ الفاءِ مِن شأنِه - إذا تُؤمِّلَ، وتُدُبِّرَ، واقْتُنِعَ به - أنْ يُنْتِجَ اتِّخاذًا، لا أَخْذًا، ويُلخِّصُه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾، وكذلك مدخولُ ﴿إِلَىٰ﴾ الَّذي هو الغايةُ، مِن شأنِه أنْ يُنتجَ ذلك، وهو إحسانُ اللهِ الَّذي ليس كمثلِه إحسانُ غيرِه.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالتها في ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾:

السَّبيلُ الصَّحيحُ غايتُهُ الوصولُ إلى اللهِ

الأداة ﴿إِلَىٰ﴾ في قولِه ﷻ: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ لانتهاءِ الغايةِ مجازًا، فتفيدُ أنَّ السَّبيلَ الصَّحيحَ تكونُ غايةُ اتِّخاذِه الوصولَ إلى اللهِ، وهذا يعني غايةَ شَرَفِ الغايةِ، وغايةَ نفاستِها، إنَّها غايةٌ كلُّها خيرٌ وبرٌّ وسترٌ ولطفٌ وإنعامٌ وإحسانٌ.

نكتة تقديم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾:

المتَّعظُ يتَّخذُ السَّبيلَ إلى اللهِ وحدَهُ

قُدِّمَ قولُه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ على قولِه: ﴿سَبِيلًا﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّم، ووجهُ ذلكَ اللَّفْتُ إلى جليلِ إحسانِه ﷺ، وأنَّ مَن عرَفَ كونَه مُحْسِنًا؛ أسرعَ في هذا الاتِّخاذ، وأنَّ السَّبيل المُؤخَّر هوَ مِن الإحسان، ومآلُه ذلك الإحسانُ، ولإفادةِ القصرِ، أي: إلى ربِّه خاصَّةً لا إلى غيرِه[3]؛ استقلالًا، أو اشتراكًا؛ بقرينة ما في سياق السِّباق زجر أهل الكفر والشّرك عن التّكذيب، فإنَّ تقديمَ بعض المتعلّقات على بعضٍ لا يفيدُ القصر دائمًا، معَ ميزة مراعاة الفاصلةِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/ 215.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 28.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 28.

علّةُ التّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ في ﴿رَبِّهِۦ﴾:

جـزاءُ الإحسانِ إفـرادُ المُحسِنِ بـالـطّـاعـةِ والعبادةِ

عُبِّرَ بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ مضافًا إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى (مَنْ)، في قولِهِ ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ المُحسنَ إليهم ﷺ يستحقُّ أنْ يَسْلُكوا إليهِ طريقَ الخيرِ والإيمانِ والطّاعةِ، فهو تعليلٌ في المعنَى للاتِّخاذ، وحاثٌّ عليه.

سرُّ تنكيرِ ﴿سَبِيلًا﴾:

سـبـيـلُ الـخـيرِ والـرَّشـادِ هو سبيلُ السّاعي إلى اللهِ

تنكيرُ لفظ ﴿سَبِيلًا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ للنَّوعيَّةِ؛ إذ المرادُ نوعٌ مخصوصٌ مِنَ السُّبُلِ، وهو سبيلُ الخيرِ والرَّشادِ، وإضفاءُ الخصوصيَّةِ عليه بالتَّنكيرِ يعني أنَّه سبيلٌ يسلبُه حظوظَه؛ لكونه لا لبس فيه، فيسلك على وفْق ما جاءَه من التَّذكرة، وذلك هو الاعتصامُ حالَ السَّيْر بالكتاب والسُّنَّة، على وفْق ما اجتمعت عليه الأمَّة[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الانفطارُ والانشقاقُ:

تشقُّقُ السَّماءِ على غيرِ نظامٍ

الانفطارُ: التَّصدُّعُ والانشقاقُ على غيرِ نظامٍ[2]، والانشقاقُ: التَّفتُّحُ بينَ أجزاءٍ ملتئمةٍ[3]، وقد عُبِّرَ بالانفطارِ هنا؛ لدلالتِهِ على التَّصدُّعِ على غيرِ نظامٍ، وذلكَ أبلغُ في تهويلِ عظمةِ يومِ القيامةِ.

السَّبيلُ والطَّريقُ والصِّراطُ:

اتِّـبـاعُ الـخـيرِ والإيـمـانِ يقودُ إلى اللهِ

الصِّراطُ: هو الطَّريقُ السَّهْلُ، والطَّريقُ لا يقتضي السُّهولةَ، والسَّبيلُ يُطلَقُ على ما يُطلَقُ عليهِ الطَّريقُ، وعلى ما لا يُطلَقُ عليهِ الطَّريقُ، تقولُ: سبيلُ اللهِ، وطريقُ اللهِ، وتقولُ: سبيلُكَ أنْ تفعلَ كذا، ولا تقولُ: طريقُكَ أنْ تفعلَ كذا، والسَّبيلُ أغلبُ وقوعًا في الخيرِ، ولا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/ 215.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 390.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 9.

يكادُ الطَّريقُ يرادُ بهِ الخيرُ إلّا مُقترِنًا بوصفٍ أو إضافةٍ تُخصِّصُهُ لذلكَ، كقولِهِ تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأحقاف: 30][1]، والطَّريقُ قد يكونُ معتادَ السُّلوكِ، وقد يكونُ غيرَ معتادٍ، والسَّبيلُ: ما يكونُ معتادًا[2]، وقد عُبِّرَ بالسَّبيلِ هنا؛ لدلالتِهِ على طريقِ الخيرِ، وهو طريقُ الحقِّ والإيمانِ الَّذي يقودُ إلى رضا اللّٰه تعالى ورحمتِهِ[3].

(1) العسكري، الفروق، ص: 313.
(2) حقي، الفروق، ص: 143.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 51.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"